مفهوم الثقافة الإسلامية
(المدلول اللغوي للثقافة)

كما ورد في اللغة هي بمعنى (Culture) في اللغة الإنجليزية، ووردت بمعنى، فطن، هذب، حذق، فهم، وضبط. وجاء في القرآن الكريم بمعنى أدركه وظفر كما في قوله تعالى: ﴿ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ الأحزاب: 61.

من هذا المدلول اللغوي نستنبط:

1- أن مفهوم الثقافة ينبع من الذات الإنسانية ولا يغرس فيها من الخارج وهذا يعني اتفاقها مع الفطرة وما يخالفها يجب تهذيبه فليس المراد حمل قيم تنعت بالثقافة إنما المراد اتفاق مضمون هذه القيم مع الفطرة البشرية.

2- الثقافة تعني الظفر والبحث والتنقيب لمعاني الخير والحق والعدل وكل القيم التي تنتمي لجذور ثقافته الحقيقة وإلا سميت ثقافة استعمار.

3- تركز على كل ما يحتاجه الإنسان طبقا لظروف بيئته ومجتمعه فهي تتأسس على الذات والفطرة والقيم الإيجابية، وقد احترم الإسلام بلادا مختلفة في احترام قيمها الاجتماعية الإيجابية.

4- إن الثقافة عملية متجددة لا تنتهي أبدا، وتنفي وجود مجتمع أصبح قمة في السلم الثقافي، فكل مجتمع يستوفي مجموعة من القيم الإيجابية التي تحترم الإنسان والمجتمع فهو مجتمع ذو ثقافة تستحق الحفاظ عليها أيا كانت درجة تطوره في السلم الاقتصادي.

ملاحظة: أدت علمنة مفهوم الثقافة بنقل المضمون والمحتوى الغربي وفصله عن الجذر العربي والقرآني إلى تفريغ مفهوم الثقافة من الدين وفك الارتباط بينهما.

وحديثا صار المثقف هو ما يمتلك المعارف الحديثة ويملك أدب وفكر وفلسفة الآخر، وأصبح المثقف هو (المنور) في موافقة (الفقيه) ويرمز الأول بأنه ينظر إلى المستقبل وللآخر بالنظر إلى الماضي والتراث والمقدس.

- كان سلامة موسى أول من أفشى لفظ (ثقافة) مقابل (Culture) وتأثر بالمدرسة الألمانية وعرفها بأن ربطها بالأمور الذهنية وقال بأنها: (المعارف والعلوم والآداب والفنون التي يتعلمها الناس ويتثقفون بها).

الثقافة هي الترجمة السائدة لـ (Culture) وتعني الأرض وزراعتها واقترنت خلال

العصرين اليوناني والروماني بهذا المعنى، ثم استخدم العبارة نفسها وأطلقها على الفلسفة وهو (المفكر شيشرون اليوناني) وذلك على زراعة العقل.

وفي عام 1871 م قدم إدوارد تيلور تعريفا للثقافة حيث قال بأنها: (ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع).

وبانتقال هذا المفهوم إلى الألمان اكتسبت مضمونا اجتماعيا حيث أصبحت تدل على: التقدم الفكري يحصل على الفرد أو المجتمعات أو الإنسانية بصورة عامة.

وبانتقالها إلى الإنجليزية أدخلوا مفهومها في المسائل السياسية والدينية حيث عرفها كلايد كلوكهون بأنها (مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين في الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليها الفرد من مجموعته التي يعيش فيها، وتوسع المفهوم وأصبح جزءا من العلوم الاجتماعية، وولد علم: (الأنثروبولوجيا) الاجتماعية والذي تقوم عليه افتراضات النظريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حول تاريخ المجتمعات وتطورها والقوانين التي تحكمها ويتخذ علم الأنثروبولوجيا مفهومي (Civilisation culture) جوهرا أساسيا لنظرياته ومقولاته.

وينطلق من ثلاثة قواعد:

أ- المجتمعات تسير في نسق تطوري وفي نمط متصاعد بدايته - الرقي (المجتمع الأوروبي) ويتم تقسيم المجتمعات إلى: حديث - لاحق بالركب.

ب- الثقافة: تنشأ وتتطور وتنتشر في المجتمعات الأخرى (الانتشار الثقافي) من المجتمعات الراقية إلى الأدنى رقي وبهذا برزت ظاهرة الرجل الأبيض - الثورات الثقافية).

ج- التثاقف أو المثاقفة: تأثير وتأثر الثقافات بعضها وبعض نتيجة الاتصال بينها أي كانت طبيعة ومدة هذا الاتصال وهذا يلعبه الدور الاستعماري (العراق، فلسطين، الجزائر) وتنشأ هذا بين ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر مما يترتب عليه إحداث تغييرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في إحدى المجتمعات أو معا.

ودور صاحب الحضارة الأوروبية هو: (زرع القيم والأخلاق والمؤسسات الأوروبية في المجتمعات الأخرى تمهيدا لحصاد هذه المجتمعات سواء عقول مبدعة تهاجر إلى المجتمع الأوروبي أو موارد اقتصادية تغذي عجلة اقتصاده).

مفهوم الثقافة الإسلامية:

إشاعة كثير من المصطلحات التي تحتاج إلى ضبط (الثقافة، التمدن، الحضارة، الحداثة، الروية، التسامح ...).

مفهوم الثقافة الإسلامية: هي كل تصور يستند إلى الكتاب الكريم والسنة الشريفة في مجال تحديد الموقف من الوجود والتاريخ والإنساني المعتقدات والعواطف والسلوك وغيره، ولتحديد هذا المفهوم لابد من الإشارة إلى:

أ- مصادر هذه الثقافة (الكتاب والسنة).

ب- تحديد أساليب الاستنباط والاجتهاد.

ج- تحديد الموقف من السلوكات المنافسة (الاقتصادية، الحقوقية، الاجتماعية العبادية . . .).

ح- تحديد المرونة وفق المصالح.

د- النظرة الشمولية لاشتمال الثقافة على كل من يحتاجه الإنسان.

هـ- مصطلح حديث، تحدث عنه د/ رجب سعيد شهوان في كتاب بعنوان (دراسات الثقافة في الإسلامية) (المؤلف شاركه بعض الباحثين في التأليف).

الاتجاهات في تعريف الثقافة الإسلامية:

الاتجاه الأول: هي (معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر والمصادر هي التي استقيت منها هذه المقومات).

الاتجاه الثاني: هي (معرفة المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية ومقومات الدين.

الاتجاه الثالث: هي: (معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر والمصادر من: دين، لغة، تاريخ، حضارة، قيم، أهداف مشتركة).

تعريفات أخرى:

1- أ د. عبد الرحمن الزنيدي في بحثه: (مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية) هي (علم كليات الإسلام في نظم الحياة كلها في ترابطها).

2- مجموعة من الأساتذة المختصين في علم الثقافة بكلية الشريعة بجامعة إمام محمد بن سعود الإسلامية في كتاب (الثقافة الإسلامية تخصصا، ومادة، وقسما علميا) هي: (العلم بمنهاج الإسلامي الشمولي في القيم والنظم والفكر ونقد التراث الإنساني فيها).

عرفت الثقافة بوضعها علما بمفهوم علم الثقافة وهي: (العلم الذي يبحث كليات الدين في مختلف شؤون الحياة). (المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية) مجلة جامعة الإمام عام 96، 97.

- عرّفت بأنها (النظام الكلي في المعرفة الدين، الأدب، الفن، الأخلاق، القانون، التقاليد) هذا تعريف الثقافة عند أهل الغرب وعرفها إدوارد تيلور بأنها (ذلك الكل العقد الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعرف والعادة وكل المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع). (قاموس علم الاجتماع د. محمد عاطف غيث مادة (ثقافة).

وأول عربي عرّف الثقافة كما يقول قاموس علم الاجتماع هو أوز خالد حيث قال هي:

(الدراسة العلمية التفسيرية للظواهر الثقافية).

- الأسلوب المعياري لعلم الثقافة يبقى تجريديا لأنها نتاج مجتمع وفهمه وبيئته ومذاهبه وعقائده، ومن الصعب جمع الأمة الإسلامية على ثقافة واحدة وأن توحدت ثوابتها فإنها تختلف فيما بينها في تفسير أسلوب حياتها.

- لابد من تطوير مفهوم علم الثقافة الإسلامية ليتحول من كونه علما معياريا - لوقوعه في كثير من الإشكاليات مع بعض التخصصات الشرعية والإنسانية - إلى كونه علما تفسيريا يستمد مفهومه من تاريخ علم الثقافة نفسه.

الخطة الثقافية الإسلامية:

1- اجتثاث عوامل الانحطاط.

2- تنمية عوامل التقدم والنهوض من الرؤية الإسلامية.

3- المساندة والتشجيع لنجاح الخطة.

4- اكتشاف مجالات التصور الإسلامي في مجالات العلوم الإنسانية (السياسية، الاقتصادية، التربية، القانون).

5- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

6- منظمة المؤتمر الإسلامي.

7- على مستوى كل بلد لابد من سياسة ثقافية.

8- يعتبر مالك بن نبي (في كتابه شروط النهضة) وفي كتابه (ميلاد مجتمع) يعتبر أن الثقافة جسر للحضارة.

مفهوم التراث الإسلامي:

يعتبر مظهرا من مظاهر الإبداع الفردي والجماعي للأمة خلال تاريخها وهو أفضل تعبير عن الهوية الثقافية للأمة وذاتيتها الثقافية وهو مادي كالآثار والحفريات والمتاحف وهو فكري وعقائدي.

نرفض حبس التراث في المناسبات، كما نرفض حجر العقول ومنع الاجتهاد.

خصائص الثقافة الإسلامية: أ- الشباب والتطور . . . خصائصه، التشريع الإسلامي.

الإسلام: منظومة واحدة منسجمة رغم تعدد وتنوع مكوناتها.

التراث من مصادر الثقافة.

المؤسسات التراثية: الوقف، خزانات الكتب، دور العلم، الكتاتيب، الاحتفال بالمناسبات والأعياد.

مصطلحات عامة :

1- **تراث:** القيم، المبادئ، السلوك التي يتوارثها الناس.

التراث: من ورث، وهي مجموع ما يحفظه التاريخ من مبادئ وقيم وأخلاق وغيرها. ويكون ماديا ومعنويا.

2- **الثقافة:** مهم لمن أراد أن يدرس القيم والأخلاق والسلوك للفرد والمجتمع وكيفية تفاعلها داخل المجتمع.

أقترح تعاريفا هو: (علم تفسير الظواهر الثقافية في المجتمع الإسلامي) كي يتحرر من الإشكاليات السابقة، أيضا يمكنه معالجة الظواهر الإيجابية والسلبية التي ترسخ في (التعصب والتساهل) (الإفراط والتفريط) (التطرف والتغريب).

والحمد لله رب العالمين

© منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف
1429 هـ - 2008 م